الذكر والعشر (١)

أ. أناهيد السميري

يوم الإثنين ٣٠ ذوالقعدة ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

- الكمال لله عزّ وجلّ، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله. .

والله الموفق لما يحب ويرضى.

عناصر اللقاء :

بعض الأدلة على فضل الذكر:

- في الحديث: ((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ)).
- قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾
- في الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً))
- ((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟))
- أبو الدرداء رضي الله عنه لما قال: "إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ جِلَاءً، وَإِنَّ جِلَاءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ"
- ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

أنواع الذكر:

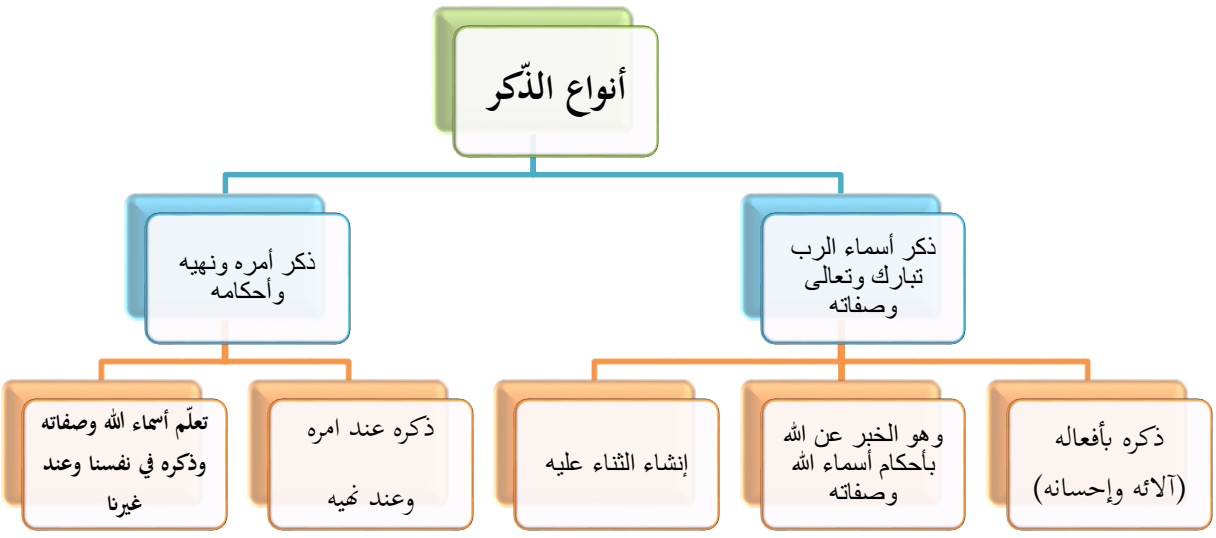

حقيقة الذكر:

- المعرفة اليقينية تؤدي إلى الذكر الحقيقي.
- انشغال القلب بالله يؤدي إلى الذكر الحقيقي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله عز وجل حمدا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الزمان الفاضل وهذه الأوقات المباركة شاهدةً لنا ننتفع بها بكثرة ذكره وشكره، وأن نكون ممن أحسن عبادته سبحانه وتعالى.

وفي هذه اللقاءات ـ إن شاء الله ـ التي ستستمر من هذه الليلة المباركة –ليلة الأول من شهر ذي الحجة– إلى إن شاء الله يوم الخميس سنتكلم عن هذا الموضوع المهم وهو (**الذكر والعشر**).

ذِكْر الله في هذه العشر الفاضلة التي قد منّ الله ـ عز وجل ـ بها على خلقه، وجعل فيها عمل هو **روح العبادات**، فكان أعظم الأعمال في هذه العشر خاصة **ذكره سبحانه وتعالى**.

وسيتبيّن لنا كيف أنه اختار لنا سبحانه وتعالى ذِكرًا جامعًا يخصّ هذه العشر، فتزداد بركتها علينا، ويزداد انتفاع **من جَمَع قلبه فيها**. فنسأل الله ـ عزّ وجل ـ أن يجعلنا ممن ذكره حقًّا بقلبه ولسانه.

فضل الذّكر:

نبدأ أولًا بالكلام حول ذكر الله على وجه العموم ومكانته في الشرع ثم إن شاء الله نتكلم عن الذكر الذي يخصّ هذه العشر.

فنقول وبالله التوفيق:

إنّ من أعظم نِعَم الله ـ عزّ وجلّ ـ على خلقه أن يسّر لهم أن يذكروه بلسانهم، وعلّمهم عن نفسه سبحانه وتعالى ما يزيد ذكرهم صدقًا، ويزيد قلوبهم شوقًا، وكما ورد في الحديث: ((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ))[1]، فهذا فضل الله تفضّل به على عباده أن يسهل عليهم ذكره سبحانه وتعالى وأن يعرفوه معرفة تسبّب لهم الذكر، فإنّ الذكر لا يكون حقًّا إلا لمن عرف الله ـ عز وجل ـ حق المعرفة، وهذا الرابط المهم يجب عدم الغفلة عنه لأنّه هو حقيقة الذكر، وسيتبيّن ذلك إن شاء الله في مضامين الكلام.

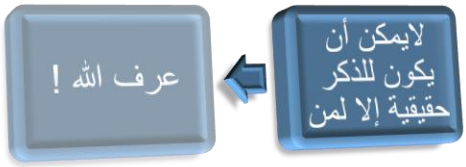

[1] رواه البخاري في صحيحه

فإذا عرفنا أنّ هذا مِن فضل الله أن يُيسّر علينا الذكر بل ويُيسّر علينا المعرفة الدافعة للذكر، كان الشكر اغتنام هذه العطيّة وتذكير النفس بها، فلما يزيد على هذا وهذا الأجور التي رُتّبت والمصالح التي عُلّقت بالذكر فسيكون الذكر وقتها من الأمور النفيسة التي يحرص عليها مَن فَقِهَ غاية خلقه وعرف مسيره إلى ربه.

فنذكّر أنفسنا الآن بشيء من فضل الذكر كما ورد في النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة:

∴ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾[٢] وهنا يتبيَّن أن الذاكرين أثر ذكرهم لربهم أنه يصلي عليهم سبحانه وتعالى، هو بعظمته وجلاله يثني عليهم وملائكته.

∴ وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى: ((**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**))[٣] والشاهد : ((**وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ**)).

وهذه كلها دلالاتها عظيمة أنّ العبد الفقير في الأرض مهجور الذكر يرى نفسه أنه لا يُعتنى به، يرى نفسه أنّه أُهمل من قومه والناس حوله ينسونه وهو يذكرهم ويبحث عنهم، فإذا تنبّه أنّ ذكر القوم **مرض للقلب**، وأنّ ذكر الله **شفاء له**، فإنّ الذاكر الصادق صاحب العقيدة الصحيحة في ربّه متيقّن أنّ الله يذكره إذا ذكره.

فإن صحّ إيمانه ويقينه بربّه، تحوّلت حاجته للذكر والاهتمام والعناية من الخلق الضعفاء – الذين إذا ذكروا اليوم بخير ربما ذكروا غدًا بِشرّ– إلى ذكر ربّ الأرباب الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يعود شأن كل شيء، فهذا الأمر عند المؤمنين شأنه عظيم!

∴ وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟**)) قَالُوا: وَذَلِكَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ((**ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**))[٤].

ولو عددنا الأمور التي تدلّ على هذا الفضل في هذا الحديث لوجدناها عجيبة تجمع الدين!

١. فأوّلًا قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مشوقًا لأصحابه: ((**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ**))تشويقًا لهم لتجتمع قلوبهم على هذا الشأن الذي سيخبرهم به.

---

[٢] الأحزاب

[٣] متفق عليه.

[٤] رواه أحمد في مسنده وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح.

٢. ثم زاد هذا الشوق فذَكر لهم صفات لذكر الله، فكانت أول صفة تدلّ على قبل الذكر أنه قال لهم: ((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ))هذا تفضيل على الإطلاق، خير الأعمال.

٣. ((وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ)) وهي الأزكى، فهي تزكو وتنمو وتتضاعف عليها الأجور!

٤. ووصفها أيضًا بعد وصفها بأنها خير الأعمال وبأنها أزكى عند المليك ((وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ))، فهي سبب لرفعة درجاتكم وقد كانت سبب لمضاعفة حسناتكم.

ولما ننظر ((عِنْدَ مَلِيكِكُمْ)) ونرى هذه الصفة المثبتة لله، ونرى أثرها على الأعمال، فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخبرنا بخير عمل وأزكى عمل:

- عند الملك الذي ستلقونه فيحاسبكم.
- عند الملك الذي بيده ملك كل شيء.
- عند الملك الذي إذا وعد لا يُخلف، الصادق في وعده، السريع في حسابه.

فيخبرنا صلى الله عليه وسلم بخير هذه الأعمال وأزكاها وأرفعها في الدرجات، فهي من جهة الأعمال خير، ومن جهة الأجور أزكى، ومن جهة الدرجات والمكانة أرفع.

٥. ثم يقارن هذا العمل بأعمال عظيمة في الإسلام، فيقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ))وفي رواية ((من إنفاق))والإنفاق من أقرب الأعمال زكاة للنفوس، يعني أقرب ما يزكي النفوس هو الإنفاق ولذلك من قوة أثر الإنفاق سميت الزكاة زكاة؛ لأنها تزكّي نفس صاحبها، من أعظم الأعمال التي تسبّب التزكية والطهارة لأن العبد لما يُخرج المال :

- يدل على إيمانه بحقيقة الدنيا.
- ويدل على إيمانه بالآخرة وانتظار الثواب فيها، يعني يعرف الدنيا وحقارتها، ويعرف الآخرة وعظمتها.
- ويدل على معرفته بربّه فيعرف الرب وملكه وعوضه وعطاؤه.
- و يعرف أنه مُلّك اختبارًا، يعرف حقائق كثيرة ولذلك لما يخرج المال من طيب نفس يكون قد زكّى نفسه.

ومع ذلك العمل الذي تكلم عنه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال في حقه هنا: ((خير لكم من إنفاق الذهب والفضة)) والذهب والفضة معلوم أنها من أكثر الأموال نفاسة عند الناس، **فإذا كان إنفاق الذهب والفضة يزكّي النفس فهذا العمل أفضل منها.**

٦. وأيضًا يأتي العمل الآخر الذي فضّل عليه ذكر الله: ((وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ))وهذا معناه الجهاد بالسيف.

فهذا الذكر عمل عظيم حتى أنه أعظم من الجهاد، من أن يَقتل ويُقتل في سبيل الله.

فيالله كم وراء الذكر من خيرات! لكن لو تبيّن لنا حقيقة الذكر سنعرف أنه نعم لو كان الذاكر:

- صادق في ذكره
- قد حقّق معرفة الله
- وحقّق حبّ الله وتعظيم الله

فكان ناتج هذا عمل في القلب نتج عنه حركة اللسان، لعُلم بالضرورة أن الذكر سيكون أعظم الأعمال، وأن الأعمال بعده وناتجة منه وخارجة من أثره.

إذا تحققت هذه الشروط وجود المعرفة المؤدي للمحبة والتعظيم، المؤدي إلى حركة حقيقية في القلب تسبب حركة في اللسان وإن شاء الله لنا كلام في هذا بالتفصيل.

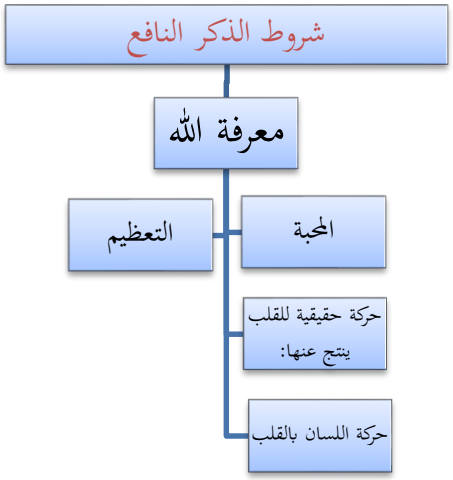

وبهذا نفهم كلام أبو الدرداء رضي الله عنه لما قال: "إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ جِلَاءً، وَإِنَّ جِلَاءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ"[٥].

والله يقول في كتابه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[٦]، وهذا مقياس صعب! كأنه يقال لا تتخذ جليسًا ولا صديقًا حميما ولا تعاشر وتجاور من هو في غفلة عن ذكر الله، فإن الغفلة عن ذكر الله دليل اتباع الهوى.

[٥] شعب الإيمان.

[٦] الكهف:٢٨

إن أردت أن ترى الرجل الذي يحكمه هواه أو يحكمه الوحي انظر إلى ذكره لربه، وفي الآية: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ فعُلم أن **الذكر الحقيقي على اللسان لابد أن يكون معه يقظة حقيقية في القلب**، لابد أن تكون هناك يقظة! ونحن لا نريد أن نستعجل هذا الجزء إن شاء الله يأتينا بيانه بوضوح خلال هذه اللقاءات الأربعة.

أنواع الذكر:

نأتي لأنواع الذكر: من هو الذي سنقول عنه أنه ذاكر؟

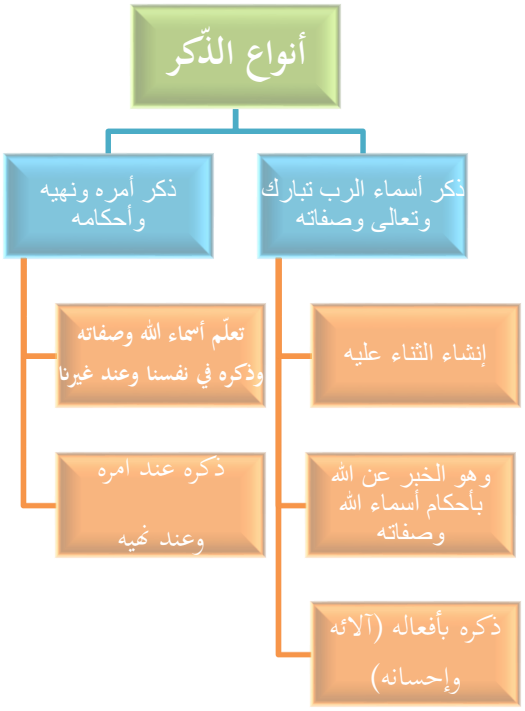

فنقول **الذكر نوعان:**

النوع الاوّل : ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته :

والثناء عليه بهما وتنزيهه سبحانه وتعالى وتقديسه سبحانه وتعالى عما لا يليق به، وهذا النوع الأول تحته **نوعان**:

النوع الأول: إنشاء الثناء عليه.

فمثلًا قول العبد "سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" بهذا ينزّه الله عن النقائص، قوله "الحمد لله" هذا ثناء على الله، فمعناه أن الذاكر يذكر أسماء الرب تبارك وتعالى ويثني عليه بهما ويقدّسه.

إما أن يقول إجمالًا مثلًا سبحان الله أو يقول الحمد لله، القائل **سبحان الله** يعني يقول أنزّه أسماء الله وصفاته عن النقص، والقائل **الحمد لله** يقول أنا أصف الله بالكمال.

النوع الثاني: وهو الخبر عن الله بأحكام أسماء الله وصفاته.

فمثلًا نقول الله يحاسب العباد، الله يلطف بالعباد، الله يحفظ العباد، **فكل من أخبر عن الله بأحكام الأسماء والصفات فهو ذاكر لأسماء الله**، وهنا طبعًا يشترط أن يكون هذا الذاكر لأحكام أسماء الله وصفاته يعرف الله ويثبت له الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والنوع الثاني من الذكر: ذكر أمره ونهيه وأحكامه:

نذكر ماذا أمر هنا، عن ماذا نهى هنا، فنذكر أمره ونهيه وأحكامه.

وهذا أيضًا **نوعان**:

النوع الأول: أن نتعلّم نحن وتدارس أو نخبر غيرنا بأن الله أمر بكذا أو نهى عن كذا، فنحن نذكره ونذكر أوامره لأنفسنا أو لغيرنا.

والنوع الثاني: ذكره عند أمره فنبادر إليه، وعند نهيه فنهرب منه.

فإذا سمعنا المؤذن يؤذّن بادرنا إلى الصلاة، إذا رأينا الخصومات تحصل عرفنا أنها من الشيطان هربنا منها، لو رأينا الناس دخلوا في جدال نتذّكر الجدال وحكمه في الشرع فنهرب منه، كلما مررنا بموطن أمر ذكرنا الله فائتمرنا، وكلما مررنا بمواطن نهي ذكرنا الله فانتهينا. فهذا من عظيم ذكره سبحانه وتعالى.

في النوع الأول الذي هو ذكره بأسمائه وصفاته، أيضًا ذكره بأفعاله سبحانه وتعالى، فذكْر آلائه وإنعامه وإحسانه وفضله على عبيده، هذا كله من أنواع الذكر الأول.

١. نذكر الله بأسماء الله
٢. وبصفات الله
٣. وبأفعال الله.

فإما نذكره –كما تبيَّن لنا أن هناك نوعان تحت النوع الأول– إما أن ننشأ الثناء عليه فنقول سبحان الله أو الحمدلله، وإما نخبر عنه بأحكام أسمائه وصفاته، يُضاف على الأول أمر ثالث: وأننا نذكر آلاؤه وعطاياه هذا أيضًا من ذكره بأسمائه وصفاته.

نقول أكرمنا، نقول رزقنا، هدانا، هذه أحكام الأسماء وفي نفس الوقت آلاء وإنعام وإحسان، فإما تدخل في الثانية وإما تنفرد عنها.

إذن سنقول باختصار: الذكر نوعان:

النوع الأول: ذكر لله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله، إما تسبحه وإما تذكر أحكام صفاته وإما تذكر آلائه وإنعامه.

النوع الثاني: ذكر أمره ونهيه وأحكامه، وعلى ذلك ستكون دروس العلم والاجتماع حولها من أنواع الذكر لله، لأن القوم يتعلّمون عن ربهم أسمائه وصفاته، ويتعلّمون الأحكام، ويتعلّمون ما هي مراضي الرّب الكريم وكيف يصلون إليها، فيكون هذا كله داخل في ذكره سبحانه وتعالى.

وبهذا عرفنا والحمد لله بعض الأدلة الدالة على فضل الذكر وعرفنا أنواع الذكر.

حقيقة الذّكر :

نرى الآن **حقيقة الذكر** وكيف أن هذه الحقيقة إذا تبيّنت لا نتعجّب من الأجور المرتبة على ذكر الله.

فنبدأ ببيان أن ذكر الله لا يمكن أن يكون حقيقة إلا **إذا عرف الإنسان من هو الله**، فإنّ الذاكر ليس فقط خلاف الناسي أو خلاف الغافل، إنما الذاكر في حقيقته هو **العارف الذي إذا عرف لَزِم**.

ولذا ننظر لأولي الألباب الذين جعلوا كل شيء حولهم سببًا لمعرفة ربهم، وقد امتدحهم الله بأنهم يتفكّرون في خلق السماوات والأرض وأنهم يقولون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾[٧] فلننظر لحال أولي الألباب ونتصور حال الذاكرين.

فإن الذّاكرين على الحقيقة لهم قلوب **(مشغولة بالله)!**

- ترى آثار كمال الله في كل شيء
- وترى وعد لقاء الله في كل شيء.

فهذه القلوب عرفت الله بأسمائه وصفاته، عرفت أنه حكيم، عرفت أنه عليم، عرفت أنه قريب، أنه مجيب، عرفت أنه لا يؤوده أي لا يثقله حفظ السماوات والأرض. حفظ السماوات والأرض، من قوّته وقدرته .

[٧] آل عمران: ١٩١

فنظرت في السماوات والأرض ورأت سعة الأرض وتكاثر أهلها ومن يسكنوها من الإنس والجن والحيوانات وما فيها من زرع أمور لا تُعدّ، ومن جمادات، ونظروا في السماء، فرأوا صفحتها تشهد على عالمٍ بعيد مليء بالنجوم والأجرام، قالوا لا يمكن أن يكون هذا باطل! لا يمكن! زادهم ما نظروا إليه إيمانًا بالله.

- رأوا تفاصيل أشياء في السماوات والأرض قالوا يارب ما أعلمك!
- رأوا تفاصيل في السماوات والأرض قالوا يارب ما أحكمك!
- رأوا تفاصيل أخرى و قالوا يارب ما أقربك!
- رأوا تفاصيل أخرى و قالوا يارب ما أعظمك!
- ورأوا كيف كم أن له من قدرة! تحيط بكل شيء علمًا!

فهذا كله **ولّد ذِكر الصادقين**، فلما تفكّروا في السماوات والأرض بقلوبهم، استجابت ألسنتهم أن يقولوا ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ . كان يسير على اللسان أن يخرج منه هذا الكلام العظيم، والسبب أنّ القلوب مشغولة بالله، عرفت الله وأصبحت ترى بعين من يعرف الله، وهذا ما أعجبه في القرآن وأكثره!

فإن الله في كتابه كثيرًا ما يُخبر عن الأعمى والبصير، ومن دقّق ولاحظ ورود الخبر عن الأعمى والبصير في كتاب الله، يتبيّن له أمْر مهم وكيف أنّ:

- ✓ المؤمنين يوصَفون بالبصر.
- ✓ والكافرين يوصَفون بالعمى .

عن أي شيء،؟ غالبًا أنه يكون ظاهر في النصوص.

في سورة غافر يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾[٨] يعني يقولون هذه الآيات التي حولهم والتي تأتي بها الأنبياء ليست صحيحة، لا تدلّ على أنّ الله يستحقّ التأليه وحده، لا يدلّ على أننا سنُجمع عند الله فيقول الله إن الذين يجادلون في هذه الآيات يجادلون ووصفهم أنهم يجادلون بغير سلطان آتاهم،ما الذي يدفعهم للجدال؟ ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾لن يبلغوا أثره، هذا الكبر يريدون وراءه أن ينفوا الآيات ويذهبوا بأثرها من الناس ما هم

[٨] غافر:٥٦

ببالغيه ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ثم يأتي أمام ما فعلوه من كبر ينبههم الله ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون أن خلق السماوات والأرض أكبر منهم؟! لا،أكثر الناس **لا يعلمون أن ما في قلوبهم من عمى يمنعهم أن يروا الآيات ولا يفكروا فيها**، ولذلك أتت بعدها: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ .

يعني هذه آية من الآيات الكونية ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ ، ﴿لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الإنسان إذا أصيب بعمى في قلبه فإنه لا يستطيع أن يذكر الحقيقة ولا أن يفكّر فيها ولا أن يستفيد منها،ولذا قال مباشرة سبحانه وتعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . . ﴾ لا يمكن أن يستوي الأعمى والبصير، فإن الأعمى لا يرى الآيات، في مقابل أن البصير يتبصّر فلا تراه إلا وقد أقبل على الإيمان.

ولذا لما نقرأ في الأنعام نسمع الله عز وجل يخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قبلها: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩) قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ ما وصفه صلى الله عليه وسلم؟

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[٩] يعني الذي يرى حال النبي صلى الله عليه وسلم ويرى دعواه ويكون بصيرًا سيتفكر! فإذا تفكّر آمن، آمن بكمال الله، آمن بعظمة الله، وصل إلى ما كان يجب أن يصل إليه.

لكن الأعمى لا يمكنه ذلك، يرى حوله آيات الله، يرى حوله أخبار عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرى حوله ما يدله على الحق لكنه لا يرى!

ولذا في فاطر الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾[١٠].

فكل هذه الأمور تامة الوضوح كما أن الأعمى لا يمكن أن يستوي مع البصير،وكما أن الظلمات لا يمكن أن تستوي مع النور، وكما أن الظل لا يستوي مع الحرور، وكما أن الأحياء لا يمكن أن يستوي مع الأموات، فكذلك لا يستدل على الحق الأعمى ولا

---

[٩] الأنعام.

[١٠] فاطر.

الذي في الظلمات ولا الميّت، لا يمكن أن يستدل هؤلاء على الحق وعقولهم كلهم ما دلتهم على الله ولا نفعتهم في عقيدتهم التي هم في نهاية الأمر من ورائها إما أن يذكرون وإما أن يتركوا الذكر؛ **لأن الإنسان يذكر على ما في قلبه** إن كان حقًا ذاكرًا.

فبهذا اتفقنا على أنّ الذكر الحقيقي إنما يأتي بعد المعرفة، **المعرفة اليقينية** تكون بالضبط كالنور، تكون بالضبط كالحياة، تكون بالضبط كالبصر، يرى الإنسان من ورائها، إذا عرف معرفة يقينية ونظر، رأى آثار كمال صفات الله في كل شيء، فاضطر لسانه مباشرة للاعتراف بكماله ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ .

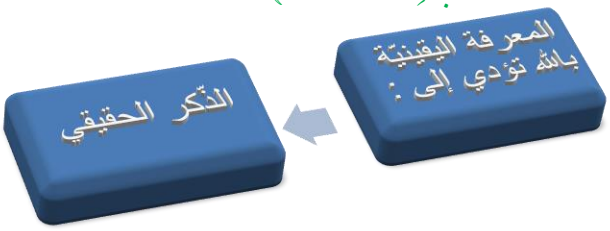

وهذا القلب الذي عرف الله ستجرّه معرفة الله ومعرفة آلاؤه ونعمه وعطاياه إلى أمر في غاية الأهمية، وهو الشعور بمحبة الله، فإنّ مَن نظر إلى آلاء الله وعطاياه، نظر الصادق المميّز صاحب البصيرة الذي انكشفت له الحقائق بعدما تأمّل في عظمة الله وتأمّل في جلاله وسلطانه ورأى أنّ كل شيءٍ بيده، ينظر في صفحة السماء فلا يرى إلا آثار كمال الله، شمس تشرق وتغرب بأمر الله، يعلم هو بعقله أنه لو اجتمع هو ومن في الأرض جميعًا لكي تقف ثانية لا يستطيعون، ويعرف أن هو ومن في الأرض جميعا لا يستطيعون حتى الاقتراب منها، يراها ويرى آثارها، ويعلم كم لوجودها من نعمة من الله، ويعلم أنها لو غابت عنه وامتنعت ما استطاع أن يأتي بها ولا بالمصالح التي ورائها، علم أنها ليست بيده.

وتأتي في صفحة السماء النجوم العظيمة يتأمّلها ويتأمّل لمعانها وغيابها وظهورها ويرى حركة دؤوب لا تقف، فيعلم عظمة الله، وكيف أنّ السماوات والأرض أكبر من هذا الإنسان الذي هو مفردة من مفردات هذه الأرض، فيطيل التأمّل فيعرف من هو الله.

هذا الكلام ليس عن الكفار إنما هذا الكلام عن المسلمين، لأن أولي الألباب هؤلاء من المؤمنين، يتفكرون في خلق السماوات والأرض ثم يخرجون بهذه النتيجة، فلابد أن يخرج من لسانهم: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ .

فالمقصود أنهم بعدما يعرفون عظمة الله كما ينبغي، ينتقلون بأفئدتهم التي أصبحت **رقيقة** تحت عظمة الله، ويتأمّلون في آلائه وعطاياه، ويرون آثار إنعامه عليهم، **فتراهم كلما زادت أعمارهم، زادت قلوبهم رقّةً ويقينًا**؛ لأنهم يرون في حياتهم:

كم لطف الله بهم!

كم أعطاهم الله!

كم متعهم الله!

فلمّا يفكّرون في الإحسان ويتذكّرون، لابد أن يخرج من ألسنتهم ⟸ذكر ربهم.

ولما يتفكّرون في آلائه وعطاياه، يخرج من ألسنتهم ⟸ التسبيح والتكبير.

ولما يفكرون في آلائه وعطاياه وذنوبهم، لابد أن يخرج من لسانهم ⟸ الاستغفار.

فإنّ استغفار الصادقين إنما هو عن علم ويقين بأنّ الله غفور رحيم وأنّنا مذنبين، و(مذنبين) هذه لابدّ أن يكون بطول التأمّل في نعم الله وفي عطاياه، وفي مقابل ذلك طول تأمّل في حالنا وتقصيرنا.

ولذا من الطبيعي جدًا أنك تجد الرجل الذي رُبّي على الإيمان أنّه إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة وبدأ يفكّر بطريقة صحيحة استوى فيه قواه يقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[11]، فهذا الذي بلغ الأربعين وتربّى كما ينبغي، ونضج فيه اليقين، تراه جمع في دعائه بين الأمور التي يراها **عظيمة**، وتأكد أنها مهمة، وتبيّن له أنها لابدّ أن تكون موجودة ناتج **يقينه** بربه وعلمه.

يريد من ربه أن يوزعه فيجمع عليه كل قواه من أجل أن يشكر نعمة الله، فهذا داعٍ من قلبه، سائلًا ربّه بِصِدْق أن يعطيه كل القوى من أجل أن يصل إلى ذلك، بل فيما يقال في معنى " أَوْزِعْنِي ": قيل "ألهمني وأولعني" أن أشكر نعمتك بحيث لا أنفك عن شكرها.

فالمقصود أن العبد في مثل هذه الأحوال التي يبلغ فيها اليقين مبلغه، يرى لسانه راغبًا إلى ربه، طالبًا أن يكون ممن قد وُفّق في ذلك، فلا يريد فقط أن يكون شاكرًا بل قال :أوزعني، ألهمني، أولعني، اجعل مقصودي وغايتي أن أشكر نعمتك بحيث لا أنفك عن شكرها، فهو يريد أن يكون شاكرًا بعدما **شعر بالنعم**، "نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ" شعر بنعم الله التي لا تحصى،شعر بأعظم النعم وهو الدّين، بل شعر بالنعمة على والديه، هذا تكثيرًا للنعم! فهو يفكّر ويفكّر، فرأى نعمة الله عليه وعلى والديه، فسأل الله عز وجل أن يكون من الشاكرين.

الشاهد من الآية أنّ هذا **فكّر وانشغل بربّه**، فسأل سؤال الصّادقين، فذكر ذِكْر مَن يُريد أن يكون حقًّا من الذاكرين، يعني طلب من ربه وقال :أولعني بشكرك، يعني اجعل شكرك ولعي، غايتي، ألهمني إياه بحيث أن يبقى اللسان دائما شاكر، **فقلبه امتلأ من الإحساس بالنعم، فخاف من هجر لسانه لشكر المنعم**.

---

[11] الأحقاف:١٥

وهذه المسألة نكاد نقول أننا جميعًا تمرّ علينا، فإننا في أحيان كثيرة نكون في حال تفكّر لنعمة أو لذنب، فيطول تفكّرنا ثم يخرج من لساننا استغفر الله، يخرج من لساننا الحمدلله، فإذن لما غفل القلب، لَهَا اللسان.

ولذلك ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾[١٢]

فإن هذه حقيقة الذكر تفكر القلب الموجب لذكر اللسان.

ملحوظة مهمة : نحن هنا لا نقرّر أبدًا أن ذكر اللسان بدون حضور القلب لا أجر عليه، هذا ليس موضوعنا إنما نتكلم عن حقيقة الذكر، و سيأتينا إن شاء الله في لقاءاتنا القادمة مراتب الذكر وكيف يتعلّى الإنسان فيها.

لكن حقيقة الذاكر هو هذا العبد الذي صدق في معرفة ربه وتيقّن بها، فطالت فكرته وانطلق لسانه، فلا ننتظر أن تنطلق ألسنتنا صادقة وقلوبنا خالية! بل لابد أن نطيل الفكرة فيأتي الذكر في مكانه.

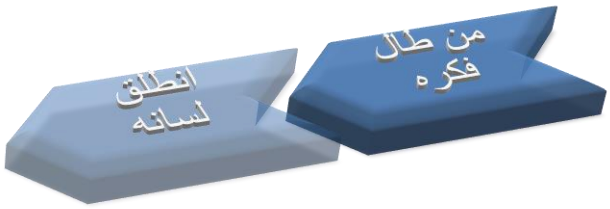

وليُعْلم أن من أعظم مقاصد الحج نفسه ذكر الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾[١٣] قال ابن عباس في تفسيره: "الأيام المعلومات الأيام العشر"

وقد ورد في الحديث: ((**مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ، وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدِ**))[١٤].

فالمقصود أن الذاكرين حقًّا هم مَن أكثروا من ذكر الله بعد التذكير.

---

[١٢] الكهف٢٨

[١٣] الحج:٢٨

[١٤] رواه أحمد في مسنده وهو حديث صحيح.

وإن شاء الله إذا مدّ الله في العمر وأحيانًا إلى غدًا نتكلم عن مراتب الذكر المشهورة المعروفة ثم نتكلم عن الذكر الذي وردت صفته في العشر:

وسنتكلم في اللقاءات القادمة عن مراتب الذكر المشهورة المعروفة ثم نتكلم عن الذكر التي وردت صفته في العشر:

١. الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.
٢. وعن بعضهم: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.
٣. وعن بعضهم: الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرةً وأصيلاً.

كيف هذا يأتي من وراء التفكير، علمًا أن هذا التكبير من أخصّ أنواع الذكر في العشر وإن كان كما مر معنا في الحديث أنه الذكر عمومًا، ((**مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ، وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدِ**)).

إن شاء الله في لقاء الغد نتكلم عن تفاصيل هذا الأمر.

أسأل الله عز وجل بمنّه وكرمه أن يصلح نيّاتنا وقلوبنا وأفكارنا ويلهمنا رشدنا ويرزقنا حسن الخاتمة وتكون كلمة (لا إله إلا الله) هي آخر كلامنا من الدنيا اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.